

الدعوة للطاعة

وجدت مريم نعمة

دعونا نفكر أولاً في السؤال ما المقصود بأنها وجدت نعمة؟ أن تجد نعمة معناها تجعلنا متلقين "للمزيد". إنها تخرجنا من الدنيوي، من بلادة الحياة. إنها تجعل أعباءنا تصبح أخف وزناً وتجعل كأسنا تفيض. إنها تزيل الظلمة وتهدم خيبة الأمل وتزيل اليأس. إنها تضع زنبركاً في خطواتنا وابتسامة على وجوهنا ولمعة في أعيننا.

الآن بالطبع، هناك نوعان من النعم. هناك نعمة من الإنسان وهناك نعمة من الله. إن إظهار الإنسان للنعمة لإنسان آخر أمر واضح ونعلم جميعاً أن هذا هو الشيء الصحيح الذي ينبغي القيام به معظم الوقت. إن الطفل الذي عمل بجهد للحصول على درجات جيدة يستحق بالتأكيد نعمة أكثر من الطفل الذي كان مهملًا في دراسته. والعامل الذي يراعي ضميره يستحق بالتأكيد نعمة أفضل من العامل الذي بالكاد يقوم بواجبه. مرة أخرى، عندما نظهر المحاباة لإنسان على آخر، يبدو الأمر سليماً بالنسبة لنا. لكن للأسف، إن تعليم الله يظهر أن تفضيل شخص على آخر أمر متحلل مع التركيز العام الجديد على أن الله يعامل كل شخص بنفس الطريقة. حقاً، يريدنا الله أن نعامل كل إنسان بالطريقة نفسها عندما يتعلق الأمر بالخلاص أو المركز الاجتماعي أو الثروة (يعقوب ٢: ١-٤). لكن بعد ذلك يتوقف الأمر. الكتاب المقدس كله كتاب يعلمنا أنه في هذه الحياة وفي الحياة القادمة، يجازي الله كل واحد حسب أعماله (رؤيا ٢٠: ١٢). الله لديه أيضاً تفضيل.

لقد فضل الله مريم على جميع العذارى الأخريات لتحمل الطفل يسوع المسيح. الله فضل هابيل على قابيل وفضل ساما ويافت على كنعان وإسحاق على إسماعيل ويعقوب على عيسو ويوسف وداود على جميع إخوتهم. وفضل ثلاثة من تلاميذه على بقية الاثني عشر. وسيظهر نعمة لشخصين: فيجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره في عرشه. الله لديه مفضلون وعلينا أن نتعلم كيف نعيش مع ذلك الأمر. الله ليس أصم ولا أعمى لدرجة أنه لا يستطيع أن يميز الفرق بين حاجة طفل في العاشرة ورجل في الخمسين، بين قديس قديم ومؤمن جديد، بين خادم مطيع وخادم

كسول، إلخ. يعامل الله كل واحد منا وفقاً لما نحتاج أن يصل بنا إلى حيث ينبغي أن نكون. لا تجادل حول عدم المساواة في معاملته لكل منا لأنه من الضروري أن يلبي احتياجاتنا حيث نحن. الله عادل ويعطي كل واحد منا معاملة خاصة مصممة خصيصاً. لولا ذلك، لكانت الحياة مملة للغاية. الله لا يخطئ على الإطلاق. لكن في كل الطرق المتنوعة التي يعاملنا بها الله أو يفضلنا بها، هناك مبدأ أساسي واحد يعمل كقاسم مشترك في كل تفضيل يظهره الله أمامنا وهو كما يلي:

الله يفضّل من يرضيه ويفضله "فَقَالَ لَهَا الْمَلَأُ: لَا تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لِأَنَّكَ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللَّهِ" (لوقا ١: ٣٠). السبب الذي جعل مريم تجد نعمة عند الله هو إنها قررت منذ طفولتها أن يكون الله جوهر حياتها والغاية الرئيسة لها. عندما يقوم أي واحد منا بذلك، يكون في مكان يسمح بتلقي نعمة من الله. إن قدرتنا على أن ننال نعمة من الله هي بسبب هذا القانون الروحي إن الله يفضّل من يفضلونه. هناك قوانين مادية تحكم الكون المادي. وهناك قوانين روحية تحكم الكون الروحي الذي هو ملكوت الله. لا يمكننا الوقوف في وضع مستقيم، أو بناء جسر معلق، أو التحليق بالطائرة دون الاعتماد على القوانين الفيزيائية المادية. فكل ما نراه بعيوننا ونلمسه بأيدينا ونسمعه بأذاننا تحكمه القوانين الفيزيائية المادية.

وكما يحتاج الإنسان الطبيعي إلى أن يطيع القوانين المادية ويتوافق معها، يحتاج الإنسان الروحي أيضاً إلى أن يطيع القوانين الروحية وأن تتوافق حياته معها. هناك الكثير من الفوضى في العديد من كنائسنا وفي حياة مسيحيين كثيرين اليوم لأننا إما نجهل القوانين التي تحكم حياتنا الروحية أو لا نرغب في الخضوع لها، مدعين أنه بما أننا لدينا المسيح فإننا لم نعد بحاجة إلى قوانين. **إننا نفترض أن العلاقة مع السيد المسيح تحل محل القانون، لكنها لا تحل محله.**

إن غياب القانون يدمر العلاقات. فإذا ارتكبنا الزنا أو شهدنا زوراً فإننا ندمر علاقتنا بالسيد المسيح وبشريك الحياة. إن الالتزام بالقوانين الروحية هو مثل الحفاظ على آداب السلوك الروحي. يلزمنا أن نعرف كيف نتصرف في حضور الملك. فإن لم نطع أحكامه وقواعده فسنتطرد من القصر (تكوين ٣: ٢٤؛ متى ٢٢: ١١-١٣). يلزمنا أن نعرف أن الكتاب المقدس فيه قوانين أخرى للحياة لكي نحافظ على نفس الثقل الأخلاقي للوصايا العشر. في العهد القديم، يرتدي الكثير منها ملابس المبادئ

والشهادات والطرق والتشريعات والأحكام كما نراها معروضة بشكل جميل في المزامير. يسر بها المرنم نهاراً وليلاً وهذه أسماء أخرى للناموس أو الوصايا. الكون الأخلاقي أكبر بكثير مما نعتقد. بالنسبة للمزامير، الله وكلمته واحد. لا يمكن أن ن فصلهما. وعندما نرفض الواحد، نرفض الآخر أيضاً.

هذا صحيح أيضاً في العهد الجديد مع الرب يسوع ورسله المعينين. فما يقولونه هو أيضاً قوانين ووصايا ونصوص وشهادات وطرق وتشريعات وأحكام. عندما نتجادل معها، نتجادل مع الله وتنتهي علاقتنا به. ونخرج من نعمته. قال الرب يسوع إنه ما لم نترك الجميع ونتبعه لا يمكننا أن نكون من تلاميذه (لوقا ١٤: ٢٧، ٣٣). إنه يعني ذلك ويقول أيضاً: "أليس كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (متى ٧: ٢١).؛ "إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَتَّبِعُنِي فِي يَطْرَحُ خَارِجًا كَالْعَصْنِ، فَيَجِفُّ وَيَجْمَعُونَهُ وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ، فَيَحْتَرِقُ" (يوحنا ١٥: ٦). هذه الكلمات لها نفس ثقل الوصايا العشر. إنها لا تقطع العلاقة بل تحفظها. نعم، كما قال صاحب المزامير: إنها سراج لرجلي ونور لسبيلي. وتعيد ترتيب حياتنا وتعطي قوة لعظامنا الروحية. إنها تعطينا التوجيه والتركيز والسلام والفرح. قوانين اللاويين لها تاريخ انتهاء صلاحية، أما هذه فليس لها، وستؤتي ثمارها إلى الأبد.

مرة أخرى، الحياة الروحية ليست حياة الفوضى. إنها ليست بلا مبادئ. قوانين الرب ثابتة لكسر الحصون. لذلك، يمكنك أيضاً الاعتماد على هذا القانون الروحي لأن تلخيص العهد القديم والعهد الجديد عبارة عن كمية من الحقيقة. الله يفضل من يفضله. إن كنت تفضل الله: "الصَّدِيقُ كَالنَّخْلَةِ يَزْهُو، كَالأَرْزِ فِي لُبْنَانَ يَتِيمُو" (مزمور ٩٢: ١٢). لا شيء يمكن أن يوقف ذلك! مرة أخرى، كانت نعمة الله على مريم نتيجة لتسليم الحياة لله. لكن مريم لم تكن مفضلة فحسب؛ بل كانت الأكثر قبولاً لدى الله. قال لها الملاك أيضاً: "سَلَامٌ لَكَ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! الرَّبُّ مَعَكَ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ" (لوقا ١: ٢٨).

إنه أمر رائع أن تجد نعمة لدى الله، لكن الأروع أن تكون أكثر قبولاً لدى الله. كانت هناك درجة من العاطفة في حياة مريم الصالحة ممزوجة بنكهة زيت اللبان. يقول العلماء إن هذا الإعلان من الملاك جاء إليها عندما كان عمرها بين الثانية عشرة

والرابعة عشرة من عمرها. فهل من عجب أن يختارها الله لولادة الطفل يسوع المسيح فيبارك كل شخص يُولد حتى نهاية الزمان؟ دعونا جميعًا نتطلع إلى أن ننال نعمة الله بنفس العاطفة والجمال. ولتحفظ الفتيات عذريتهن لما خططه الله لهن. إن ثمار الأبدية تُولد في حياة الطهارة الروحية وينتقل نور الكنيسة من جيل إلى جيل على أكتاف من يجدون نعمة لدى الله.

أن تجد نعمة لدى الله ليست مسألة حظ. ليس الأمر كما لو إن الله يضع يده في حقيبة ويسحب الرقم الفائز. إن النعمة هي نتيجة حياة تم تسليمها لله في لحظة واحدة في أحد الأوقات. وسيُكافأ إلى الأبد. والآن، دعونا نقلب الصفحة فيما يتعلق بهذا المبدأ الروحي ونلقي نظرة على ما هو على الجانب الآخر، في الصفحة الخلفية من هذا. ها هو:

الاستحسان من الله يدعو إلى الازدراء من الإنسان. اعتمد على ذلك؛ وخطط له ؛ وتعود عليه. اعتبر الأمر شرفاً أن تحمل صليبك كما فعل الرب يسوع. فقد قال: "طُوبَاكُمْ إِذَا أَبْغَضَكُمُ النَّاسُ، وَإِذَا أفرَزُوكُمْ وَعَيَّرُوكُمْ، وَأَخْرَجُوا اسْمَكُم كَثِيرِينَ مِنْ أَجْلِ ابْنِ الْإِنْسَانِ. افرَحُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَتَهَلَّلُوا، فَهُوَذَا أَجْرُكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاءِ" (لوقا ٦: ٢٢، ٢٣).

لم يمض وقت طويل بعد هذه الزيارة الإلهية حتى أصبحت مريم موضوعاً للنميمة والتلميحات. ظل عدم انتظام حملها وهذه الولادة موضع ازدراء من البعض (يوحنا ٨: ٤١). ولم يمض وقت طويل حتى أصبحت مريم لاجئة اضطرت إلى الفرار إلى مصر. مع الطفل يسوع المسيح تغير كل شيء في حياتها بشكل كبير. صديقي، هذه هي الحياة المسيحية العادية. هذه علامة واضحة على التحول الحقيقي وعلى تبعية الرب يسوع. من الوقت الذي قبلت فيه السيد المسيح وتبعته، لن يكون هناك شيء كما هو إلى الأبد. وهذا يشمل رفض العالم لك. ناهيك عن العلاقات العامة مع الناس. لا يمكنك أن تنتمي إلى مجتمعات الشرف لدى الإنسان ولدى الله في الوقت نفسه. اترك جوائزك عند قدميه واجعل رب الأرباب ملكاً عليك. لا يمكنك أن تقف إلى جانب الطريق وتتوقع الفوز. قال الرب يسوع: "سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ، فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ بَسِيطَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ نَيْرًا" (متى ٦: ٢٢). كن إنساناً منيراً وستصبح ملحاً للأرض وملجأً للمساعدة والأمل، ويحل عليك روح الرب وتنادي قائلاً: "رُوحَ الرَّبِّ عَلَيَّ، لِأَنَّهُ مَسَحَنِي لِأَبْشَرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لِأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ،

لَأَنَادِي لِلْمَأْسُورِينَ بِالْإِطْلَاقِ وَلِلْعُمَى بِالْبَصْرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ" (لوقا ٤: ١٨). ستصبح قضيته بعد ذلك قضيتك وسيصبح تركيزه تركيزك. ستبدأ بالسير في حضوره ومعه، وبذلك تصبح أحد المفضلين لدى الله.

ولكن في كل هذا، ينبغي أن تكون مستعدًا لخوض هذه المعركة في ساحة الإيمان وأن تكون مستعدًا لأن يتلطح وجهك بالتراب والعرق حتى تُوجد في النهاية جالسًا مع جموع الشهود لله مشجعًا الآخرين في طريقهم. ستنتهي إلى جموع الذين تقول عنهم الرسالة إلى العبرانيين: "وَهُمْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقًّا لَهُمْ" (عبرانيين ١١: ٣٨).

لذلك أيها الإخوة والأخوات، ينتظر الله أن يهبكم نعمته لكي تملكوا معه إلى الأبد، لكن ينبغي عليكم اتخاذ الخطوة الأولى لتنالوا هذه البركة. ابدأوا في تفضيله في كل ما تفعلونه وحيث يتواجد كل شيء آخر في مكانه. وتدخلون بالفعل في علاقة خاصة معه لا مثيل لها. "لأنَّ عَيْنِي الرَّبِّ تَجُولَانِ فِي كُلِّ الْأَرْضِ لِيَتَشَدَّدَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ كَامِلَةٌ نَحْوَهُ" (أخبار الأيام الثاني ١٦: ٩).

لمزيد من مقالات القس اسشولتيز قم بزياره لموقعنا www.schultze.org

Reimar A.C. Schultze PO Box 299 Kokomo, Indiana 46903 USA